

الآثار التاريخية القديمة بمدينة مصوع!!!



كتب: محمود عبد الله

تقع مصوع على البحر الأحمر في الطرف الشمالي لخليج زولا بجانب أرخبيل دهلك، ومعظم أجزائها محاطة بالبحر الأحمر وسلسلة جبال قدم ويبلغ متوسط درجة الحرارة فيها إلى 30 درجة مئوية.

تعد مصوع الميناء الأول لإرتريا وأقدم مدنها على الإطلاق والعاصمة الأولى لها قديماً ومهبط أول بعثة إسلامية إلى البلاد الخارجية التي دخل الإسلام على يدها لأول مرة ، ولها ثلاثة أسماء: باضع ، و باصع ، و مصوع.

تشير بعض الروايات التاريخية القديمة بأن اسم مصوع الذي تعرف به المدينة في الوقت الحالي كلمة عربية، ففي العصور القديمة كان سكان شبه جزيرة مصوع يتواصلون مع سكان منطقة قرار بالوقوف في الموقع الذي يتواجد به حالياً فندق سافويا والمناداة بأعلى أصواتهم، فبعد إضمحلال مدينة عدوليس القديمة أصبحت جزيرة دهلك مركزاً تجارياً يؤمه الجميع في الفترة من القرن السابع وحتى العاشر الميلادي، وحينما أدرك حينها التجار شواطئ مصوع الملائمة لرسو السفن التجارية جعلوا من مصوع معبراً إلى جزيرة دهلك ومرفأ مهم في إفريقيا أهلها لكي تصبح ميناء إستراتيجياً ظل يشهد له القاصي والداني بالكفاءة ويتمنى الجميع زيارته والإستمتاع برؤيته عن قرب. وبسبب تلك المميزات الفريدة فقد أضحت مصوع قبلة العديد من الزوار ومحط انظار القوى الإستعمارية التي تعاقبت على تلك المنطقة

بدءاً من البرتغاليين وحتى الإستعمار الأثيوبي ,ونظراً لتلك الموجات البشرية المتنوعة التي رافقت تلك القوى الإستعمارية نجد أن مصوع تختزن بداخلها في القوت الحالي العديد من الآثار التي تعكس المعالم التجارية والإجتماعية والثقافية والدينية والمعمارية لتلك الشعوب التي إستوطنت فيها والتي سنحاول عرضها وفق تاريخ نشأتها و التسلسل الزمني لها:

- الآثار التاريخية التي تعود لماقبل القرن السادس عشر:-

يعتبر مسجد الصحابة من الآثار التاريخية القديمة في مصوع وهو اول مسجد بني في افريقيا



حيث إنشأ هذا المسجد صحابة رسول الله في العام 615م فور وصولهم من الجزيرة العربية الى مصوع هرباً من بطش قريش و إمتثالاً لأمر الرسول محمد ﷺ لهم بالهجرة الى الحبشة التي قال لهم فيها الرسول بأن بها ملك لا يظلم عنده أحد في إشارة الى الملك النجاشي,وقد كان عدد أولئك الصحابة الاوائل حسب الروايات الشفاهية المتوارثة بين أهل مصوع 12 صحابيا من ضمنهم بنت الرسول(ص) السيدة رقية، ويحتفل المسلمون الإرتريون في هذا الموقع بشكل سنوي ويشاركهم في هذا الإحتفال الديني السنوي مسلمون قادمون من دول مختلفة كدول جيبوتي والصومال والسودان.

أضف الى ذلك يوجد في مصوع مسجد الشافعي التاريخي الذي يبلغ عمره قرابة 1121 عاماً، وكذا مسجد الشيخ حمّال الذي بني عام 1580م ولايزال يحتضن حتى يومنا هذا العديد من المخطوطات القديمة بالإضافة الى ضريح الشيخ حمّال(عمر صديق الانصاري) وزوجته .

-الآثار التاريخية في الفترة بين العام 1557-1865 م :-

في العام 1557 م إستولى القائد التركي أزدمير باشا على مينائي مصوع وحرقيقو ليصبحا تحت الإحتلال التركي، وقد حاول الأتراك التوغل الى الهضبة الإرترية الا ان

محاولاتهم باءت بالفشل وأصبح تركيزهم منصّباً على مصوع وضواحيها، ومن آثار تلك الفترة في مصوع دفاعات فورتو، وخزانات المياه، والمباني المعمارية التي تم بناؤها بواسطة الكورال البحري والذي كان يجلبه الأتراك من ضواحي جزيرة دهلك. وبما ان تلك المباني كان يتم تشييدها بالكورال البحري قبل تقطيعه وتسويته، فيمكن التفريق بينها وبين المباني التي بنيت لاحقاً بكل سهولة ويسر.



© CanStockPhoto.com - csp42482533

- الأثار التاريخية في الفترة ما بين 1856 - 1885م:

في تلك الفترة كانت ترزح مصوع تحت الإحتلال المصري الذي بذل مجهودات كبيرة للنهوض بالبنية التحتية للمدينة لتنفيذ أجدته الإستعمارية، حيث قام بتشيد خزان مياه في منطقة أم كلو بإرتفاع 13.000 متر لتوزيع مياه شرب نقية للسكان عبر الانابيب، إدراكاً منه لمشكلة المياه التي كانت تعاني منها مصوع في تلك الآونة، وفي العام 1872 قام الإستمار المصري بتشيد معبر طوله 250 متر عرف بإسم - باب عشره - يربط شبه جزيرة مصوع بطوالوت ومعبر آخر طوله 850 متر عرف بإسم - سقالت قطان - لربط طوالوت بمنطقة عداقا، وفي الفترة بين عام 1872-1875 م قام مدير مصوع السويسري مونزينغر باشا نيابة عن الإدارة المصرية بتشيد المجمع الإداري لمدينة مصوع بطوالوت والذي كان يحتل في تلك الآونة المركز الأول من حيث الحجم وفخامة البناء وعرف لاحقاً في عهد الإستعمار الأثيو بي بإسم قبي.

- الأثار التاريخية فى الفترة ما بين 1885-1941:

فى هذه الفترة كانت تخضع مصوع كغيرها من المناطق فى إرتريا للإستعمار الإيطالى حيث يمكن تقسيم التطورات التى شهدتها المدينة فى المجال المعماري بتلك الآونة الى حقتين :

- الاولى من عام 1885 وحتى العام 1935م

- الثانية من العام 1935 وحتى العام 1941م



* من عام 1885 وحتى العام 1935م:

فى هذه الفترة تعرضت مدينة مصوع لكارتئين كبيرتين الأولى الحريق الهائل الذى شب فى المدينة عام 1888م وقضى على الأخضر واليابس، والثانى ذلك الزلزال المدمر الذى ضرب المدينة فى الرابع عشر من أغسطس عام 1921م، فبعد هاتين الكارتئين تحرك الإيطاليون لإعادة إعمار المدينة وإعادتها الى سابق عهدها حيث قاموا بإستبدال المباني التى كانت مبنية فى الماضى بالكورال والخشب بمباني مبنية بالأسمنت مع مراعاة التصاميم القديمة التى عرفت بها المدينة .

• من عام 1935 وحتى العام 1941م:

المباني التى تم تشييدها فى تلك الفترة بمصوع شيدت بواسطة الإيطاليين الذى عكسوا من خلالها التطور الكبير الذى كان يشهده الفن المعماري فى تلك الآونة بأوروبا، ومعظم تلك المباني توجد الآن بمنطقة طوالوت اذا إستثنينا بعض المباني الكبيرة التى شيدت فى مصوع كفندق تورينو والبنك الإيطالى القديم وفندق سافويا وماجاوره من مباني.

نوضح بأن معظم المباني المعمارية الحديثة التي تعود للعهد الإيطالي كانت تتركز في مصوع بمنطقة طوالوت, و كانت هنالك عدة أسباب وراء ذلك:

أولاً: رغبة الإيطاليين في المحافظة على الفن المعماري الخاص بمصوع والذي يعود في غالبه الى الفن المعماري العربي والإسلامي.



ثانياً: ازدياد سكان جزيرة طوالوت مع مرور الوقت مما شجع ذلك على المزيد من أعمال البناء.

ثالثاً: رغبة الإيطاليين في اتباع نفس السياسة التي أنتهجوها بأسمرا من حيث تقسيم المدينة الى تجمعات عرقية مفصولة عن بعضها البعض، لتصبح طوالوت في نهاية المطاف مسكناً خاصاً بالإيطاليين ومركزاً إدارياً لعموم مصوع.

- الآثار التاريخية في مصوع بين عامي 1941م وحتى 1952م:

في الثامن من أبريل عام 1941م سيطرت بريطانيا على مدينة مصوع لتدخل المدينة في مرحلة جديدة إتسمت بالآتي:

- مع بداية الحرب العالمية الثانية ونظراً للموقع الإستراتيجي الذي تتميز به مصوع، اختار الحلفاء هذه المدينة كواحدة من مراكز الإمداد المهمة لقواتهم المقاتلة، وحتى العام 1945م كانت مخازن مدينة مصوع تعج بالمواد والمعدات الضرورية لتصنيع الأسلحة بأنواعها المختلفة وكذا مواد الصيانة، كما ان مطار المدينة وميناءها كانا يكتظان بشكل يومي بالواردات المختلفة.

- بعد انتصار القوات البريطانية في الحرب العالمية الثانية أقام الإنجليز إدارتهم الخاصة بمصوع والتي تركز عملها في تدمير البني التحتية الإنتاجية بمدينة مصوع بطرق منظمة كترحيلها الى مستمعات أخرى او حتى إيقافها عن العمل وبموجب ذلك :
- * تم بيع شركة الأسمنت بمصوع الى السودان.
- * تم بيع خط التلفريك الذي كان يربط مدينة مصوع بأسمرأ والذي كان يعرف بكونه الأطول في تلك الأونة الى مصر.
- * بيع مرفأ السفن العائم الى باكستان.



وبشكل عام نستطيع ان نقول بأن مصوع وعموم إرتريا قد تضررت كثيراً خلال تلك الحقبة التي شهدت إجراءات تعسفية إتخذتها الإدارة البريطانية بلا وازع من ضمير ليتسبب ذلك في تدمير العديد من الآثار التاريخية التي كان ينبغي ان تتوارثها الأجيال جيلاً بعد آخر.

الآثار التاريخية من عام 1952 م وحتى العام 1974م:

في هذه الحقبة كانت ترزح البلاد تحت ما كان يعرف بفترة الحكم الفيدرالي وحكم الإمبراطور هيلي سلاسي، ونظراً لإدراك الإمبراطور الأهمية الاقتصادية لميناء مصوع ودورها الكبير في دعم خزينة من سبقوه من القوى الإستعمارية التي تعاقبت على المدينة، كان تركيزه عليها كبيراً، حيث شرع في بادئ الامر ببناء مساجد وكنائس داخل المدينة لكسب ود المواطنين، ففي العام 1953م قام هيلي سلاسي بتحديث وتوسعة مسجد الحنفي المبني في القرن السادس عشر بالإستعانة بمهندسين إيطاليين، هما المهندس ماريو فينانو والمهندس آرتورو مزديمي وفق المعايير المعمارية الحديثة، وبنى ايضاً للمسيحيين كنيسة إنداماريام في منطقة طولوت، كما شيد الإمبراطور في مصوع فندق جاو المعروف حالياً بفندق ريدسي، وكذا مباني القوات البحرية الأثيوبية وغيرها من المباني.

الآثار التاريخية في مصوع بين عام 1975م وحتى العام 1990م:

هذه الحقبة هي الفترة التي حكم فيها البلاد العقيد منقستو هيلي ماريام، حيث لم يكلف ذلك النظام المعروف آنذاك بنظام الدرق نفسه بإحداث أي تغيير إيجابي في مصوع وعموم إرتريا، ويمكن وصف تلك الحقبة بأنها كانت الأسوأ على الإطلاق، حيث شهدت مصوع فيها حدثين كبيرين وهما:

- في العام 1977م نفذ مقاتلو الجيش الشعبي محاولتهم الأولى لتحرير مدينة مصوع من دنس المستعمر بهجومهم على المدينة من ناحية سالينا، إلا أن تلك المحاولة لم تكلل بالنجاح لعدة أسباب موضوعية وإستشهاد فيها عدد مقدر من المقاتلين الأوفياء وتخليداً لذكرى أولئك الأبطال تم تشييد نصب تذكاري في سالينا تتم زيارته بشكل سنوي في احتفالات البلاد بعملية فنقل التاريخية.

- في العام 1990م نفذ مقاتلو الجيش الشعبي هجوماً كاسحاً على وحدات العدو الإثيوبي المرابطة في مصوع فأقتلعوها من جذورها التي كانت ممتدة براً وبحراً بعملية عسكرية ناجحة عرفت بعملية فنقل، حيث استنسل الثوار في تلك العملية أيما إستبسال وإستشهاد العديد منهم وهم يجابهون الموت بكل شجاعة، وتخليداً لذكرى أولئك الأشاوس شييد نصب تذكاري لشهداء فنقل في شبه جزيرة طوالوت يتضمن مجسمات لتلك الدبابات التي واجهت قوات المستعمر بقوة قبالة معبر سقالت قطان، ويعتبر هذا النصب معلماً أثرياً يحكي عن تفاصيل تلك الملحمة البطولية، حيث يتوافد اليه العديد من المواطنين في مختلف المناسبات لاسيما احتفالات ذكرى عملية فنقل. أضف الى ذلك هنالك نماذج في المتحف الوطني الإرتري بإقليم شمال البحر الأحمر لبعض السفن الشراعية الصغيرة التابعة للقوات البحرية للجبهة الشعبية والتي يتم حفظها حتى تتوارثها الاجيال جيلاً بعد آخر.



وفي الختام لايسعنا إلا أن نقول بان مصوع كانت على مدار تاريخها العريق من أهم المدن الإرترية على الإطلاق فقد ظلت لقرون بوابة ومركزاً تجارياً على المستوى العالمي، ولأهميتها الإستراتيجية استقطبت العديد من الأعراق المختلفة التي لاتزال

بصماتها باقية حتى الآن كالأمويين والبرتغاليين والعثمانيين و المصريين والإيطاليين والإنجليز والإغريق والهنود والأتراك .. الخ. لذا فهي مدينة الآثار التاريخية العريقة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

جريدة " ارتريا الحديثة "